مجلة القرطاس
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index

التناص في ديـــــوان (من الحمراء) للشاعر علي البهلول حسن

د.عبدالباســـــط محمد محمد احقيف*
كلية اللغات ، جامعة الجفارة، ليبيا .
iy.edu.abdalbast@aju
0009-0000-3154-4113

تاريخ الارسال 2026/5/9م تاريخ القبول 2026/8/21م

Intertextuality in the Diwan (From Al-Hamra) by the poet Ali Al-Bahloul Hassan

Dr. Abdelbaset Mohamed Mohamed Ahqeef
Faculty of Languages, Al-Jafara University, Libya.
abdalbast@aju.edu.ly

examines the phenomenon of intertextuality in the poetry collection Min al-Hamra by the poet Ali Al-Bahloul, by identifying the presence of heritage references in his poetic texts, classifying them into religious, literary, and historical forms, and analyzing the ways in which they are employed and their semantic implications. The study aims to highlight the role of intertextuality in enriching the poetic experience, deepening meaning, and adding aesthetic and cultural dimensions to the text. The study demonstrates that the poet draws upon heritage as an active component in the construction of his poetry, invoking historical figures, events, and texts and reshaping them in accordance with his contemporary vision and experience. This contributes to establishing an artistic and semantic dialogue between the past and the present.

الملخـــــــــص :

تتنـاول هـذه الدراسـة ظـاهرة التنـاص فـي ديـوان «مـن الحمـراء» للشـاعر علـي البهلول، من خلال الكشف عن حضـور المرجعيـات التراثيـة فـي نصوصـه الشـعرية، وبيان أنماطها الدينية والأدبية والتاريخية، وتحليل طرائق توظيفها ودلالاتهـا. وتسـعى

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2026. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الدراسة إلى إبراز الدور الذي أدّاه التناص في إثراء التجربة الشعرية، وتعميق المعنى، وإضفاء أبعاد جمالية وثقافية على النص. وقد أظهرت الدراسة أن الشاعر أفاد من التراث بوصفه مكوّنًا فاعلًا في بناء قصيدته، مستحضرًا شخصيات وأحداثًا ونصوصًا تراثية، وإعادة تشكيلها بما يتلاءم مع رؤيته وتجربته المعاصرة، مما أسهم في إقامة حوار فني ودلالي بين الماضي والحاضر.

المقدمـــــــة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، وأسبغ علينا نعمة العقل و الفكر لنرتقي بالعلم والمعرفة، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يعـــد التناص عنصرًا جوهريا في بنية أيّ نص إبداعي ، ويكثف فاعلية اللغة وتمامها في بنية النص واتساقه ، ويعتبر التناص من المفاهيم النقدية التي تسمى إلى مرحلة ما بعد البنيوية ، والتي عادت النظر في مسلمات نظرية الأدب الحديث.

إن هذه الدراسة والمعنونة بـ : (التناص في ديوان (من الحمراء) للشاعر علي البهلول حسن)،جاءت لإبراز القيم الفكرية والجمالية للتناص عند الشاعر علي البهلول ، و الوقوف على أنواع التناصات التي وظفها الشاعر في شعره.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ لملاءمته لطبيعة البحث، إذ يقوم على وصف ظاهرة التناص في شعر علي البهلول، ورصد تجلياتها، ثم تحليلها للكشف عن مصادرها وأنواعها ووظائفها الفنية والدلالية.

أهداف الدراسة:

تهدف دراسة التناص عند الشاعر علي البهلول إلى الكشف عن مظاهر التفاعل النصي في شعره، وتحليل مصادره وأنواعه ووظائفه الفنية والدلالية، وبيان أثره في بناء النص الشعري وإثراء معانيه، بما يسهم في إبراز ثقافة الشاعر وخصوصية تجربته الإبداعية، وعلاقته بالتراث العربي والإسلامي والإنساني

هيكل الدراســـة:

المقدمة ، و التمهيد، يتناول (التعريف بالتناص في اللغة والاصطلاح، والتعريف بالشاعر وديوانه الشعري) ، والمبحث الأول: التناص الديني ، والمبحث الثاني: التناص التاريخي ، والمبحث الثالث: التناص الأدبي ، والخاتمة

التمهيـــــد:

يعد التناص عنصرًا جوهريًا في بنية أي نص إبداعي ويكثف فاعلية اللغة وتمامها في بنية النص واتساقه ويعتبر التناص من المفاهيم النقدية التي تسمى إلى مرحلة ما بعد البنيوية والتي عادت النظر في مسلمات نظرية الأدب الحديث.

تعريف التناص في اللغـــة: تعتبر اللغة من أرقى وسائل الاتصال بين الأفراد ومجالهم الاجتماعي وما البحث في الجذور اللغوية للمصطلحات إلا لفهم أبعادها وضبط دلالتها ومصطلح التناص كمادة لغوية لم تذكره المعاجم العربية القديمة إلا في نص الشيء ينصه نصا ونص القدر نصيصا: بمعنى غلت.. وقال ابن الأعرابي :النص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والنص: التوفيق والتعيين على شيء ما وتناص القوم ازدحموا(1) ، كما ورد - أيضا - في لسان العرب كلمة التناص بمعنى نصص النص :رفعك الشيء نص الحديث ينصه نصا :رفعه وكل ما اظهر فقد نص وقال عمرو بن دينار :ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي ارفع له و اسند ويقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه ومن قولهم نصصت المتاع إذ جعلت بعضه على بعض وكل شيء أظهرته ومن قولهم نص المتاع نصا: جعل بعضه على بعض وكل شيء أظهرته فقد نصصته، يقال نصص الرجل غريمه إذا استقصى عليه(2)

تعريف التناص اصطلاحا : لقد تعددت التعاريف لمصطلح التناص في الخطابات النقدية الحديثة ومن بين الباحثين الغرب نجد جوليا كريستيفا ومخائيل باختين وميشال ريفاتير وغيرهم ، كما نجد أن النقاد العرب تأثّروا بالباحثين الغربيين ، ومنهم على سبيل المثال محمد بنيس وعبد الله الغدامي ومحمد مفتاح وسعيد يقطين وصلاح فضل وغيرهم ، غير أن كل من هؤلاء لم يضع تعريفا موحدا لهذا المصطلح ؛ بل اختلفوا فيه (3)، وإذا غصنا داخل فضاء النص الواحد سنجد عددا من الملفوظات أخذت من نصوص أخرى تقاطعت معه وتفاعلت وبهذا التصور استطاعت كريستيفا أن تقترح رؤية نقدية جديدة تؤكد انفتاحية النص الأدبي على عناصر لغوية وغير لغوية فالتناص عندها يعني : "التقاطع داخل نص لتعبير قول مأخوذ من نصوص أخرى"(4)، وبالتالي فلا يمكن فهم أي نص دون الرجوع إلى عشرات النصوص التي سبقته لأن وجود كل نص يفترض بالضرورة وجود نص أخذ منه أو تولد عنه.

كما نجد ميشال ريفاتير يشير إلى مصطلح التناص في كتابه: (إنتاج النص) حيث أعطاه طابعا تأويليا غدا معه آلية خاصة للقراءة الأدبية من مراتب التأويل الأدبي، وبذلك عرفه بأنه : إدراك القارئ للعلاقة بين نص ونصوص أخرى قد سبقه

أو تعاصره ، فمصطلح التناص – أيضا- يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد أو العلم على علاقة بنصوص أخرى وإن هذه النصوص قد مارست تأثيرها المباشر أو غير المباشـــر على النص الأصلي عبر الزمن (5) ، وبالتالي يمكن اعتبار التناص هو تشـــرّب وامتصاص نصوص سابقة ضمن أو داخل نص جديد كما نجد - أيضا - رولان بارت وسع في تقنية التناص باعتباره أحد النقاد المتأخرين الذين لا ينكرون تصادم الحضارات وانفتاح الثقافات حيث يؤكد أن " التناص يمثل تبادلا وحوارا ورابطا وتفاعلا بين نصين أو عدّة نصوص ففي النص تلتقي عدة نصوص تتصارع مع بعضها فيبطل أحدهما مفعول الآخر"(6)

التعريف بالشاعر علي البهلول

هو د. علي البهلول الحاج حسن، أحد أعضاء هيئة التدريس يقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية طرابلس، وله منشورات عدة في مجال تخصصه، اهتم بنشر عدة أبحاث في الأدب العربي، وشارك في مؤتمرات عدة، اشتغل محفظًا للقرآن في مساجد كثيرة وخطيبا، وكتب قصائد شعرية للقناة الليبية الوطنية، وقناة الهداية، وقدّم دورة تدريبية لتنمية المواهب البشرية بجامعة طرابلس، وغيرها من المشاركات، وله مجموعة دواوين شعرية قيد النشر(7)

التعريف بالديوان

ديوان (من الحمراء) للشاعر الدكتور علي البهلول حسن، قدمه الأستاذ الدكتور عبدالله محمد الزيات، وأعتنى بشرحه الدكتور رمضان علي خليفة، الصادر عن دار الكتب الوطنية بنغازي-ليبيا، الطبعة الأولى 2026،ويحتوي على عشرين قصيدة شعرية، أولها قصيدة(اعتراف)، والتي مطلعها:

في رُباكَ مُعْتَـــــــــــرِفُ عَاشِقُ إذَا وَصَفُـــوا

وآخرها قصيدة(موشح مشكاة)، والتي مطلعها:

طَيَبَ اللهَ تُرَابًا قَدْ حَلَا وَحَبَاهُ الفَضْلَ أَطْوَارَ الزَّمَنْ

المبحث الأول ــ التناص الدينـــــــــي:

أي : تتداخل نصوص دينية مختارة إما عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الخطب أو الخبار الدينية مع النص الأدبي سواء أكان

ذلك شعرا أم نثرا بحيث تنسجم هذه النصوص مع النص الأصلي فتؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو جماليا(8)

ولا غـــــرو أن تتجلـى هـذه النصـوص فـي المنجـز الشـعري لأي شـاعر فـي النصوص الدينية ولا سيما القرآن الكريم والحديث الشريف تعد قمة البيان العربي فنيا وجماليا ولعل تداخل هذه النصوص مع النص الشعري لأي شاعر لم تأتِ عفو الخاطر أو مصادفة بل عن وعي وقصد إدراكا منه أن الاقتباس أو التضمين ما هو إلا حصيلة تعاطي مع الإرث الديني الغني بجمالياته وفنياته وإعطائه نوعا من المصداقية للنص الشعري علاوة على ما لذلك من تأثير في المتلقي و لما لهذه النصوص الدينية من احترام وتقدير في الذاكرة الجمعية.

ومن هذا المنطلق فليس غريبا على الشاعر علي البهلول شأنه شأن غيره من شعراء العربية أن يوظف النص الديني في أشعاره سواء أكان توظيفا مباشرا أو إيحائيا أو توظيف للرموز الدينية من أماكن وشخصيات، ومن ذلك قوله في قصيدته (من الحمراء):

ظَلَامُ التِّيهِ غَيَّبَهُ قُرُنَّا وَفُلْكُ العِشْقِ تُبْعِدُهُ الشَّمَالُ (9)

اعتمد الشاعر في هذا البيت على التناص الديني الإيحائي والرمز التحويلي ؛ إذ يستلهم الشـــاعر رمز التيه من القصة القرآنيـــة ، ورمز الفلك من التراث الديني ، ثم يعيد تشكيلهما داخل تجربة عشقية. وقد أســـهم هذا التناص في تعميق الدلالـة، وإثـراء الصورة الشعرية، وإضفاء أبعاد نفسية ورمزية على تجربـة الضـياع والحـب، بحيث أصبح التيه معادلًا للحيرة الوجدانيـة، وصـارت السفينة رمـزًا لمسيرة العاشق التـي تعرقله رياح القدر، وهو مـا مـنح الـنص كثافـة إيحائيـة وجمـالًا فنيًـا نابعًـا مـن تفاعـل التراث مع الرؤية الشعرية المعاصرة ، وفي القصيدة نفســـها يقول:

فَصَارَ القَلْبُ أَنْدَلُسِي لِيْرُمىَ بِحَمْلٍ قَدْ تَنُوءُ بِهِ الجِبَالُ(10)

يتجلى التناص الديني في هذا البيت في قوله: بِحَمْلٍ قَدْ تَنُوءُ بِهِ الجِبَالُ مع قوله تعالى: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾ (11)، هذا التناص لا يعد تناصا مباشرا بل هو تناص إيحائي ،استثمره الشاعر ليصور عمق المعاناة التي يحملها القلب مما منح البيت قوة بلاغية حيث جعل القارئ يستحضر

النص القرآني فيشعر بثقل المعنى وعمق المأساة التي أصابت الشاعر كرمز للفقد والحنين، وأكسب التناص الصورة الشعرية بعداً دلالياً عميقاً بربطه بين التجربة الذاتية للشاعر والذاكرة الإسلامية ، وفي قصيدة أخرى بعنوان(تحت جناحيه)، يقول:

يَا قُبَّة رُسِمتْ بِنَسْجِ نِيَاطي مَا نَالَها خَطْوي وَلَا أَشْواطِي(12)

وظف الشاعر في هذا البيت تناصًا دينيًا وصوفيًا ذا طبيعة تحويلية؛ إذ يستعير رمز القبة من الذاكرة الدينية والحضارية، ثم يعيد تشكيله ليغدو رمزًا للمحبوب أو للمقدس الذي استقر في القلب، وتنبع جمالية هذا التناص من الجمع بين قداسة الرمز وحرارة التجربة الوجدانية، ومن المفارقة بين حضور القبة في القلب وغياب القدرة على بلوغها بالخطى، وهو ما أكسب الصورة عمقًا نفسيًا ودلالة إنسانية تتجاوز حدود المكان إلى فضاء الشوق والانتماء و لذلك فإن الشاعر يستثمر هذا الإرث ليجعل القبة مقصدًا روحيًا قبل أن تكون مقصدًا مكانيًا. وفي القصيدة نفسها يقول:

هِيَ مَطْمعُ لِلعَاشِقِينَ يسُوقُهمْ وَهجُ الحَنينِ إلى سَواءِ صِراطِ(13)

يبرز التناص في قول الشاعر:(سواء صراط)، وهو تناص مع القرآن الكريم في عدة مواضع من آياته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **واللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (14)، وهذه القصيدة قالها في مدح الرسول_ صلى الله عليه وسلم- فعبارة سواء صراط تستدعي في ذهن المتلقي صورة الصراط المستقيم بوصفه طريق الهداية غير أن شاعرنا قام بإعادة توظيفها في سياق الحب للرسول الكريم، فجعل من الحنين القوة التي تقود العاشقين إلى هذا الطريق وبذلك انتقل الصراط المستقيم من دلالته الدينية إلى دلالة وجدانية مما جعل من الحب طريقاً للهداية الداخلية فمنح التناص الصورة الشعرية عمقا رمزياً وجعل من العشق يرتقي إلى منزلة القيم السامية لحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويستمر الشاعر في تناصه الديني في القصيدة نفسها، فيقول:

مُتَجمِّعينَ لِعِشقِ مَنْ أَسرَ الْوَرَى مُتقلِّدينَ كَرَائِمَ الأَنْواطِ
فَبِلَالُ* فِي وَسَطِ العَذَابِ مُنَعَّمُ كَسَرَتْ مَحَبَّتُهُ أَذَى الأَسْوَاطِ(15)

يتجلى التناص الديني في هذين البيتين في استحضار الشاعر لرمزية الصاحبي الجليل بلال بن رباح، وهي شخصية دينية معروفة في التراث الإسلامي، الذي عذِّب من قبل كفار قريس، وقد استثمرها الشاعر بوصفها رمزًا للصبر والثبات والمحبة الصادقة، دون الحاجة إلى سرد تفاصيل القصة. فبمجرد ذكر اسمه يستدعي الشاعر مشاهد التعذيب والصبر والثبات، مما يختزل معاني كثيرة في لفظة واحدة. وهذا الإيجاز المكثف يمنح التناص الصورة الشعرية قوةً وتأثيرًا، ويجعل القارئ ، وفي قصيدة أخرى بعنوان(شقاء عمر)، يقول الشاعر:

وَالكونُ سرٌّ وبيتُ اللهِ مَكْمَنُهُ الكعبةُ الطُّهْرُ في أثوَابِهَـــا سُوَرُ
وَكَيْفَ يُدْرِكُهَا مَنْ قلبُهُ دَنَسٌ وإن تَنادوا لحجِّ البيتِ واعتمرُوا(16)

يتضمن هذا النص الشعري تناصًا دينيًا، حيث استثمر الشاعر المرجعية الدينية جاعلاً من الكعبة معياراً أخلاقياً ورمزاً للطهارة والإيمان، وموجهاً نقداً مبطناً إلى من يكتفون بالمظاهر الدينية وينادون بالحج والعمرة وأعمالهم تخالف القيم الدينية، وباستحضار الشاعر للكعبة جاء وسيلة لكشف التناقض بين الشعائر والسلوك مما جعله استحضارا فنينا جعل من المرجعية الدينية أداة للمحاسبة الأخلاقية، وتكمن جمالية التناص في هذا النص في الشاعر لم يقتبس ألفاظ القرآن اقتباسا مباشرا بل استوعب روحه ومعانيه فأكسب التناص النص الشعري عمقا دينيا وروحيا، وفتح أمام القارئ أبواباً متعددة للتأمل والتفكير ويقول أيضاً:

والنَّجْمُ فِيهَا وفيها الشَّمسُ تُخبرنا والليلُ والفجرُ والأنفالُ والقمرُ)(17)

بالتمعن في هذا البيت الشعري، نجد الشاعر يستدعي أسماء عدد من سور القرآن الكريم، وهي: النجم، و الشمس، و الليل، و الفجر، والأنفال، و القمر، وهو تناص إشاري _أي_ الشاعر لم يقتبس سورة بعينها بل أحال إلى عناوين سور القرآن الكريم، هذا التوظيف الذي أسهم في إثراء المعنى الشعري وتوسيع آفاق تأويله، وكذلك بيَّن لنا التناص قدرة الشاعر على الإفادة من المرجعية القرآنية في بنائه للصورة الشعرية التي تجاوزت معناها المباشر.

إن تتابع أسماء السور القرآنية التي وظفها الشاعر أحدثت إيقاعا لفظيا يستحضر الأسلوب القرآني، فأنشأ تفاعلاً بين الخطاب الشعري والخطاب القرآني مما أضفى

التناص على النص الشعري قداسةً ورسوخاً وجعل المرجعية الدينية عنصراً فعالاً في تعميق الرؤية الشعرية. وفي قصيدة أخرى من قصائده الشعرية بعنوان(إنشاد و إرشاد)، يقول:

قَدْ أَرَاكِ ذَاتَ يَوْمٍ (إرَمًا ذَاتَ العِمَاد) (18)

في هذا البيت الشعري يتجلى التناص الديني المباشر باستدعاء الشاعر لقوله تعالى: ﴿ **ألم تركَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ** ﴾(19)، هذا التوظيف جاء به الشاعر ليعبّر عن رؤيته لواقع بلاده، متنقّلًا بين محطاتٍ مختلفة من تاريخها وحاضرها فقد استحضر رمز "إرم" بما يحمله من دلالات القوة والعمران والازدهار، ليجعل منه صورةً لما يتطلع إليه لوطنه، وفي الوقت نفسه يستحضر المصير الذي آلت إليه تلك الحضارة، فيوحي بما يعيشه الوطن من أزمات وتحولات. وهكذا لم يكن التناص مجرد اقتباس من النص القرآني، بل أصبح وسيلة فنية لتكثيف الدلالة، وإبراز المفارقة بين ماضٍ مجيد أو مستقبلٍ مأمول، وواقعٍ يرزح تحت وطأة الأحداث والتقلبات. وفي قصيدته بعنوان(وصل ليلى)، يقول:

فَهَلْ مِنْ شَاهِدٍ يُبْدِي بَيَانِـــا لِدَعْوَى أَلْصَقَتْ ذَنَبًا وَذَيْلا
وَهَلْ مِنْ قَائِمٍ بالعدْلِ يَقْضِي لِيُوفيَ كَفَّـــةَ الْمِيزانِ كَيْلا(20)

نجد الشاعر في هذين البيتين قد وظف التناص الديني الغير مباشر_أي_ الإيحائي، لآيات تتعلق بالشهادة، و العدل، و الميزان، وهي مفاهيم ترتبط بإقامة الحق، وقد جاء هذا الاستدعاء في سياق احتجاج الشاعر على الظلم، فأصبحت مفاهيم الشهادة والعدل والميزان عناصر فنية تخدم التجربة الشعرية للشاعر مما منح النص عمقاً دلالياً وقوة تعبيرية وترابطاً فكرياً يعمق أثر التناص في بنائه.

المبحث الثاني ــ التناص التاريخي:

تتماهى مادة التاريخ بأحداثها وشخصياتها مع مجموع ما تحمله الذاكرة الإنسانية من تجارب وخبرات تكوَّن ثقافة الشاعر وتؤسس لإبداعه، فالذاكرة الإنسانية والخبرات والتجارب مادةٌ يستدعيها العقل بوعي أو دون وعي ويسقطها على الواقع، والتناص التاريخي، يعرَّف بأنه " ذلك التناص النابع من تداخل نصوص تاريخية مختارة و منقَّاة مع النص الأصلي للقصيدة وتبدو مناسبة ومنسجمة مع

التجربة الإبداعية للشاعر وتكسب العمل الأدبي ثراءً وارتفاعاً"(21)

لقد لجأ الشعراء العرب المعاصرون إلى التاريخ العربي بشكل عام للتعبير عما يجول في أنفسهم من خلال واقعهم المتأزم ويبثون روح العزيمة والقوة لبعث ماضي أمنهم المشرق ومن هؤلاء الشعراء شاعرنا علي البهلول الذي استلهم من الأحداث التاريخية ووقائعه وشخصياته والأقوال المأثورة لتلك الشخصيات ليعمق تجربته الشعرية ويعرض رؤيته الفكرية ويعبر عن مواقفه تجاه أي قضية، ومن ذلك قوله ، في قصيدته من الحمراء:

مِنَ(الحمرَاءِ) يَغْتِرَفُ الخَيَالُ سَنَاءً فِي مُوَشَّحِهِ جَمَالُ(22)

نرى الشاعر في هذا البيت قد استحضر تناصاً تاريخياً في كلمة (الحمراء)، وهي تعود لمعلم تاريخي أرتبط بالحضارة العربية في الأندلس، لما تحمله من دلالات الرقي والازدهار الحضاري، وهذا الاستدعاء لم يكن مجرد إحالة إلى مكان جغرافي بل جاء كرمز تاريخي يستدعي حقبة كاملة من المجد العربي الإسلامي في الأندلس مما أسهم التناص في توسيع أفق الدلالة وربط التجربة الشعرية بالحضور التاريخي للأندلس وأكسب النص بعداً حضارياً وجمالياً، وعزز حضور الأندلس بوصفها رمزا للمجد و الإبداع لدى كل عربي. وفي قصيدة أخرى بعنوان(تحت جناحه)،يقول:

إِذْ أَنْتِ فَلْسَفَةُ الْوُجُودِ حَقِيقَةً مَا كَانَ مَكْمَنُهَا لَدىَ سُقْرَاطِ
والغَافِقِيُّ* بَخِافِقِي مُتَشَوِّفٌ عِظَمَ الشهَادَةِ فِي عَظِيمِ بِلاطِ(23)

يتجلى التناص التاريخي في البيت الأول باستدعاء الشاعر لشخصية تاريخية وهي شخصية سقراط(24) ، وهو أحد أبرز رموز الفكر الفلسفي، هذا الاستحضار لم يأتِ على سبيل الإشارة بل جاء لدلالة جديدة، حيث عقد الشاعر مقارنة بين الحقيقة التي انشغل سقراط بالبحث عنها والحقيقة التي تتجسد في محبوبته، فتجاوز التناص تلك الوظيفة الإحالية إلى وظيفة أخرى دلالية جمالية، فأكسب التناص النص بعداً فكرياً وثقافياً ربط الشاعر من خلاله تجربته الوجدانية بالموروث الفلسفي الإنساني، و كذلك أصبح التناص وسيلة لتكثيف صورة المحبوبة و إبراز سمو مكانتها . وفي البيت الثاني يستدعي الشاعر تناصاً تاريخياً لشخصية تاريخية وهي شخصية عبدالرحمن الغافقي(25) ، وهو رمز تاريخي برز في ذاكرة كل مسلم ، هذا التوظيف جاء ليجسد

معاني البطولة والشهادة، فربط الشاعر تجربته الشعورية بالموروث التاريخي مما أسهم التناص في تعميق النص عمقاً حضارياً وعزز أثره الفني
وفي قصيدة أخرى بعنوان (عتاب)، يقول:

وَالبَابَا(26) يَنْسُجُ فكرتَهُ (لِعقابٍ) (27) إِذْ بَانَ نَميصْ(28) (29)

يتكئ هذا البيت على التناص التاريخي مع معركة العقاب التي انهزم فيها المسلمين في الأندلس، فنجد الشاعر لم يكتفِ باستدعاء هذه الواقعة التاريخية فحسب بل أعاد توظيفها في سياق معاصر إذ انتقل بالحدث من زمنه الأصلي إلى زمن القصيدة ليكشف لنا تشابه الظروف واستمرار الصراع الحضاري والسياسي مما أدى إلى أن يصبح التاريخ وسيلة تفسير للواقع لا مجرد استذكار له .
وتتجلى جمالية التناص في هذا البيت أنه أضفى على القصيدة بعداً رمزياً بتحول معركة العقاب إلى رمز للهزيمة الناتجة عن سوء الإدارة والتفرق ورمز كذلك لاستغلال الخصوم لهذه الثغرات، وبذلك نجد الشاعر يدعو إلى استحضار دروس التاريخ الماضي حتى لا تتكرر تلك الثغرات التي سببت في انهزام المسلمين .
وفي قصيدة أخرى بعنوان، إنشاد وإرشاد يقول:

(فُجِّرَتْ أَحْقَادُ عَبْسٍ مِنْ رِهَان وَجَـــوَادِ
وَبِهِ (ذُبْيَانُ) تَصْلَى كُلَّ أَلْوَانِ الْعِنَـــــادِ
هَلْ رأَيْتُمْ لِابْنِ عَوْفٍ أَوْ سِنَانٍ مِنْ أَيَاد(30)

ويوظف الشاعر في هذه الأبيات التناص التاريخي باستحضاره لأحداث حرب داحس والغبراء الشهيرة في التاريخ العربي التي اندلعت بين قبيلتي عبس وذبيان بسبب سباق للخيل واستمرت لعدة سنوات، أعاد الشاعر هذه الحادثة لتصبح معادلاً موضوعياً للصراعات المعاصرة التي تنشأ من أسباب محددة ثم تنتقل وتتفاقم بفعل التعصب والتخلف والأحقاد، إلا أن الشاعر لا يقف بتناصه عند استحضار الشخصيات والأحداث التاريخية بل يتحول إلى أداة نقدية تكشف المفارقة بين الماضي والحاضر، ففي الماضي كانوا رجال حملوا المسؤولية في انهاء الحرب بين قبيلتي عبس و ذبيان أما الحاضر فيبدو خالياً من أمثال أوليك الرجال الأمر الذي يضاعف الإحساس

بالأزمة ويمنح النص بعداً إنسانياً وفكرياً ، ويستمر شاعرنا في تناصه وفي نفس القصيدة يقول:

مَا رَأَيْتُ اليَوْمَ (عُشًّا) أَوْ (سَرَابًا) فِي قِيَادِ
أَوْ خُطَى (كَلْبٍ عَزِيز لِكُلَيْبٍ) فِـــــي وِهَادِ(31)

في هذين البيتين يتجلى التناص التاريخي باستدعاء الشاعر لشخصية كليب بن ربيعة الذي ارتبط اسمه بأشهر الحروب التي دارت في العصر الجاهلي وهي حرب البسوس، إلا أن التناص الذي وظفه الشاعر لم يقتصر على ذكر الشخصية التاريخية لكليب بل تجاوزها إلى استحضار القصة كاملة التي تستدعي ذاكرة كل عربي فبمجرد ذكر اسم كليب ينتقل ذهن المتلقي إلى حرب البسوس ومقتل كليب، فتحولت هذه الشخصية التاريخية إلى رمز ثقافي يحمل معاني القوة والهيمنة من جهة ، وعواقب العصبية والاقتتال من جهة أخرى. وبذلك أرى أن الشاعر علي البهلول قد نجح في تحويل شخصية كليب التاريخية إلى رمز شعري يعبر عن المجد الضائع والقيادة الحكيمة التي فقدت والصراعات المتكررة في كل عصر و إن اختلفت صورها، فأسهم التناص في إثراء الدلالة وتوسيع أفق التأويل و أكسب النص بعداً حضارياً وتاريخياً يتجاوز حدود الحدث الأصلي . وفي بيت آخر من القصيدة يقول:

هَلْ يُقِيمُ المُلكَ (صَـــــقْرٌ) خَلْفَ رَايَاتِ السَّـــــوَادِ(32)

يقوم هذا البيت على تناص تاريخي يستحضر شخصية صقر قريش عبد الرحمن الداخل، بوصفها إحدى الشخصيات التاريخية التي لها حضوراً بارزاً في الذاكرة العربية والإسلامية، لنجاحها في قيام الدولة الأموية الجديدة في الأندلس بعد سقوطها في المشرق العربي، فغدا رمزاً للصمود واستعادة المجد، فاستثمر الشاعر هذه الشخصية التاريخية ليقيم مقابلة تاريخية بينها وبين الرايات السود التي ترمز إلى الدولة العباسية، إذ استبعد الشاعر أن يخضع رمز الاستقلال لراية خصمه التاريخي ، ومن ثم لا يقتصر التناص على استدعاء شخصية تاريخية بل يستحضر مرحلة كاملة من الصراع بين الأمويين والعباسيين ليوظفها للتعبير عن موقف يتصل بالثبات على المبادئ ورفض التبعية .

إن جمالية التناص تكمن في قدرته على اختزال الأحداث التاريخية بما يمنح النص كثافة دلالية ويجعل القارئ يستحضر أبعاداً سياسية تتجاوز ظاهر الألفاظ فيغدوا التاريخ أداة فنية لإثراء المعنى وتعميق الرؤية الشعرية.

المبحث الثالث ــ التناص الأدبـــــي:

يمثل التناص الأدبي دورًا مهمًا في إثراء لغة النص الشعري، إذ يعتبر أحد أبرز الأليات الفنية التي تسهم في تعميق مستوياته الدلالية والجمالية ،و يتيح للشاعر استثمار النصوص السابقة وإعادة إنتاجها ضمن سياق جديد ينسجم مع رؤيته الفكرية وتجربته الإبداعية، ومن هذا المنطلق شكَّل التراث الأدبي رافداً أساسيًا استمد منه الشعراء مادتهم الفنية .

ويرى صلاح عبد الصبور بأن للتراث الشعري سيطرة لا يكاد يفلت منها أي شاعر، فالشاعر المعاصر عليه أن يعي التراث حتى يتغلغل في نفسه بحيث يصبح جزءاً من تكوينه ويستطيع بعده أن يصل إلى أسلوبه الخاص، والشاعر من هذا المستوى يتجاوز التراث عادة، فيضيف إليه جديداً ولا يأوي إلى ظله بل يخرج إلى باحة التجربة الواسعة ويحس إحساساً عميقًا بسيطرته على اللغة بل وعلى الشعر(33) إن استمرار صوت الماضين في قصائد المعاصرين يشكل الدكتور عزالدين إسماعيل في أذهاننا صيغة هذا الاستمرار ودوافعها:" فالشاعر المعاصر الذي استقر في وعيه أنه ثمرة الماضي كله، بكل حضارته و أنه صوت وسط آلاف الأصوات التي لابد أن يحدث بين بعضها البعض تآلف وتجاوب هذا الشاعر قد وجد في أصوات الآخرين تأكيداً لصوته من جهة وتأكيداً لوحدة التجربة الإنسانية من جهة أخرى وهو يُضمن شعره كلاماً لآخرين بنصه فإنه يدل بذلك على التفاعل الأكيد بين أجزاء التاريخ الروحي والفكري للإنسان"(34)

إذاً من الطبيعي أن يكون الموروث الأدبي أقرب المصادر التراثية إلى نفوس الشعراء المعاصرين لأن شخصياته معبرة عن ضمير عصرها وصوته الأمر الذي أكسبها التأثير على الشعراء في كل عصر وكونه أيضًا أكثر طواعية للشاعر المعاصر والأقدر على استيعاب تجربته المختلفة(35)

أما عن التناص الأدبي عند الشاعر علي البهلول يعتبر من أبرز التقنيات الفنية التي أفاد منها الشاعر في بناء خطابه الشعري، إذ لم يكن استدعاؤه للنصوص التراثية والأدبية مجرد استحضار لألفاظ سابقة، وإنما جاء بوصفه آلية فنية لإعادة إنتاج النصوص وإكسابها دلالات جديدة تتماشى مع رؤيته الفكرية والجمالية، فيقول في

قصيدته(إبحار):

لَا أَتْرُكها لِترَى ضَيْمًا مِنْ بَيْهَسٍ* شُؤْمٍ وَشَمَقْمَقْ(36) (37)

يبرز التناص الأدبي التراثي في استحضار الشاعر علي البهلول لشخصيتي بيهس وشمقمق اللتين اقترنتا في الموروث العربي بصفات مذمومة، فبيهس كان رمزاً للحمق وسوء الرأي، وشمقمق كان رمزاً للبخل والشح ، هذا التوظيف جاء به الشاعر لنقد الواقع، فجعل منهما نموذجًا لكل قيادة تتصف بالجهل والأنانية مما منح التناص النص كثافة دلالية وإيحاء فني باختزاله تلك الصفات السلبية في رمزين تراثيين فعزز البعد النقدي للقصيدة وربط بين الموروث الثقافي ورؤية الشاعر الرافضة لهيمنة هذه النماذج على مصير الأمة، وفي قصيدة أخرى بعنوان محاكاة، يقول:

قَدْ كُنْتُ بَدْرًا لِكُلِّ بَدرِ وَكُنْتُ صُدرًا لِكُلِّ صَدرِ(38)

يتجلّى التناص الأدبي في قول الشاعر باستدعاء الرموز والصور البلاغية المتجذرة في التراث الشعري، إذ استحضر صورة البدر بوصفها أكثر الصور الموجودة في شعر المديح لما لها من دلالات النور والجمال، وكذلك يستثمر الشاعر لفظة الصدر لما توحي به من معاني التقدم وعلو المنزلة، وقد أعاد الشاعر صياغة وتشكيل هذه الرموز من خلال المبالغة في قوله:(بدرا لكل بدر وصدرا لكل صدر)، ليجعل ذاته في مكانة متفردة تتجاوز المألوف ،فيكشف التناص عن حضور الموروث البلاغي العربي في بناء الصورة الشعرية ويستعيد الشاعر أساليب المدح القديمة ويوظفها للتعبير عن نفسه وإبراز مكانته العالية. ويستمر الشاعر علي البهلول في تناصه الأدبي وذلك باستحضار شخصية أدبية، وهي ولادة بنت المستكفي وهي إحدى الشاعرات في التاريخ الأندلسي، فيقول:

وَلَّادّةّ بِنْت المُسْتَكْفِي(39) إنْ قُلْتُ مُحِبٌّ لَا يّكْفِي (40)

تعتبر الشاعرة ولادة بنت المستكفي من أبرز الشخصيات النسائية في الأدب الأندلسي وبذلك تعد تناصًا أدبيًا تراثيًا وظفه الشاعر في نصه الشعري لما تحمله من حضور ثقافي ورمزي ارتبطت بقصة حبها الشهيرة مع ابن زيدون، ولا يكتفي في

توظيفه عند هذا الحد بل استدعاء عالمها الشعري وما يختزنه من معاني العشق والحنين، وجمالية التناص في هذا التوظيف قدرة الشاعر على توظيف الشخصية الأدبية التراثية بوصفها علامة ثقافية مكثفة مما منح النص كثافة إيحائية، فغدا التناص أداة فنية لإثراء التجربة الشعرية وتعميق أثرها الجمالي. وفي قصيدة أخـــرى يقول:

(جَاءَتْ مُعذِّبَتِي فِي غَيْبِ الغَسَقِ) تَرْجُو الوِصَالَ وَهَلْ أَبْقَيْتِ مِنْ رَمَقِ (41)

نرى الشاعر من خلال بيته الشعري أنه وظف التناص الأدبي في قوله: جاءت معذبتي في غيب الغسق، وهو تناص مباشر مع مطلع قصيدة لسان الدين بن الخطيب(42) فيقوم شاعرنا بإعادة إنتاجها داخل نتاجه الشعري ويمنحها بعدًا دلاليًا مختلفًا ،إذ أسهم في تشكيل رؤيته وتجربته الوجدانية بربطه بإحدى التجارب الغزلية الراسخة في الذهن، فنشأ حوار فني بين النص الماضي ونصه الحاضر أفضى إلى توسيع أفق القراءة و إثراء المعنى.

ودلالة التناص تتجلى في أن شاعرنا يستدعي صورة المحبوبة التي مثلت في النص الأندلسي رمزًا للجمال والبهاء إلا أنه وظفها توظيفًا مغايرًا، ويكشف لنا التناص وعي الشاعر بالتراث الأدبي وقدرته على استثماره فنيًا، فهو لا يقف عند حدود الاقتباس بل يحول النص التراثي إلى بنية فاعلة داخل القصيدة تتفاعل مع النمط الجديد لتنتج معنى آخر وبذلك يصبح التناص وسيلة من وسائل إحياء التراث داخل النص وفي قصيدته إنشاد وإرشاد، يقول:

(يَا بِلَادِي يَا بِلادِي) أَنَّنِي مَيْتٌ أُنَادِي
مُزِّقَتْ أَوْصَالُ شَعَــبٍ قَامَ يَسْعَى لِلْجِهَادِ(43)

يتجلى في هذا المقطع تناص أدبي مباشر مع افتتاحية النشيد الوطني، إذ يستدعي الشاعر عبارة ذات حضور في ذاكرة المتلقي، ثم يعيد توظيفها في سياق مغاير، محولًا دلالتها من الخطاب الوطني الحماسي إلى خطاب مأساوي يتسم بالموت في قوله: (إنني ميت أنادي)، ثم صور تمزق الوطن بقوله : (مزقت أوصال شعب ، قام يسعى للجهاد)، وبذلك انتقل الشاعر بندائه من التعبير عن الفخر إلى التعبير عن الألم والحزن، وتكمن جمالية التناص في أنه أوقظ الذاكرة الوطنية لدى المتلقي وكذلك ساهم

في تعميق البعد العاطفي للنص مما منح الخطاب الشعري قوة إيحائية تنبع من استثمار نص وطني راسخ في كل وجدان الناس

الخاتمـــــــــة:

في ختام هذا البحث الموسوم بـ (التناص في ديوان من الحمراء) للشاعر علي البهلول حسن وبعد الوقوف على مظاهر التناص وتجلياته في الديوان، يمكن القول إن التناص شكّل مكوّنًا أساسيًا في التجربة الشعرية للشاعر، ووسيلة فنية ودلالية أسهمت في بناء النص وإغنائه، من خلال استحضار نصوص ومرجعيات سابقة وإعادة تشكيلها بما يتلاءم مع رؤيته الخاصة وسياقه الشعري، وهذه أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث:

1- يُعدّ التناص مكوّنًا أساسيًا في بناء النص الشعري في ديوان (من الحمراء)،إذ أسهم في تشكيل كثير من الدلالات والصور والرؤى التي يقوم عليها النص.

2- تنوعت مصادر التناص في الديوان، فلم يقتصر الشاعر على مصدر واحد، وإنما انفتح على مصادر دينية وتاريخية وأدبية ، مما منح تجربته الشعرية ثراءً وتعددًا في المرجعيات.

3- برز التناص الديني بوصفه أحد أهم أنماط التناص في الديوان، واستثمر الشاعر مرجعياته في تعزيز المعنى وإضفاء أبعاد رمزية وإيحائية على النصوص الشعرية.

4- أسهم التناص التاريخي في استحضار الذاكرة الجماعية، إذ وظف الشاعر بعض الشخصيات والأحداث التاريخية لإضاءة الحاضر والتعبير عن مواقف ورؤى تتصل بتجربته الشعرية.

5- كشف التناص الأدبي عن حضور الموروث الشعري والثقافي في تجربة الشاعر، وعن قدرته على الإفادة من النصوص السابقة وإعادة توظيفها في سياقات جديدة.

6- أدى التناص دورًا مهمًا في تكثيف الدلالة الشعرية، إذ منح النص أبعادًا تتجاوز المعنى المباشر، وفتح أمام القارئ إمكانات متعددة للتأويل والقراءة.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

1-الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس مطبعة حكومة دبي-ج18-1979-ص187-188
2-ابن منظور –لسان العرب(مادة نصَّ)دار إحياء التراث العربي-ط3-بيروت-1999-ص162
3- جمال مباركي-التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر-دار هومة الجزائر-2003-ص38
4- علي متعب جاسم –التناص أنماطه ووظائفه في شعر محمد رضا الشبيبي –مجلة واسط للعلوم الإنسانية-عدد10-كلية التربية-جامعة ديالي-ص34
5-عبد الحميد-الأسطورة في بلاد الرافدين (الخلق والتكوين) دار علاء الدين-ط1-1998 سوريا-ص33
6-د. بشير تاوريريت و سامية راجح-التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر-دار رسلان –دمشق 2008-ص60
7– - د. رمضان علي خليفة-الجملة الفعلية والاسمية في قصيدة "شقاء عمرو" من "ديوان من الحمراء – دراسة نحوية"-كلية اللغات جامعة الجفارة-مجلة الأصالة-العدد الثاني عشر-المجلد الخامس-ديسمبر 2025-ص4
8- أنظر: أحمد الزغبي-التناص نظريا وتطبيقيا –مكتبة الكناني إربد-1993-ص25
9-علي البهلول حسن-ديوان(من الحمراء)-تقديم الدكتور عبدالله الزيات-اعتنى بشرحه الدكتور رمضان علي خليفة-منشورات دار الكتب الوطنية بنغازي-ط1-2026-ص20
10-الديوان-ص20
11-سورة الحشر آية 21
12-الديوان-ص21-
13-الديوان-ص21
14-سورة البقرة آية 211
المقصود ببلال بن رباح الصحابي الجليل رضي الله عنه *
15-الديوان ص21
16-الديوان-ص24
17-المرجع نفسه-ص25
18-المرجع السابق نفسه ص32
19-سورة الفجر الآية 6-7-8
20-الديوان ص41
21-أحمد الزعبي-التناص نظريا وتطبيقيا –-مرجع سابق –ص23
22-الديوان-ص19
23-المرجع السابق نفسه ونفس الصفحة
24-سقراط هو فيلسوف يوناني قديم ولد في أثينا سنة 470 ق.م من أب يحترف صناعة التماثيل وأم قابلة-أنظر أحمد أمين و زكي نجيب محمود –قصة الفلسفة اليونانية-ط2-دار الكتب العلمية القاهرة-1935-ص105
25-هو أبو سعيد عبد الرحمن بن عبدالله بن بشير بن الصارم قائد عسكري إسلامي استشهد في معركة بلاط الشهداء-أنظر الديوان ص22
26البابا هو الزعيم الأعلى للكنيسة الكاثوليكية الرومانية-أنظر الديوان ص28
27-لعقاب هي معركة بقيادة الخليفة الموحدي محمد الناصر وهي المعركة النهائية للحكم الإسلامي في الأندلس-أنظر الديوان ص28

28- نميص ما ينبت من النبات أو الشعر بعد الجز والمراد في البيت المعنى المجازي لهذه الكلمة- أنظر الديوان ص28
29-الديوان ص28
30-الديوان ص30
31- المرجع نفسه ص31
32- المرجع السابق نفسه ص32
33- أنظر-صلاح عبدالصبور-قراءة جديدة لشعرنا القديم-منشورات أقرأ –بيروت لبنان-ص18
34-د عزالدين إسماعيل-الشعر العربي المعاصر. قضاياه وظواهره الفنية-منشورات جامعة البعث-ص311
35-د.عمر عتيق-التناص الأدبي في شعر يوسف الخطيب-مجلة جامعة الخليل-مجلد 8-العدد 1-2013-ص199
36-شمقمق هو مروان بن محمد المعروف بأبي الشمقمق نشأ في البصرة شهد نهاية عصر بني أمية وعاش بقية حياته في أحضان بني العباس عاش فقيرا طيلة حياته –أنظر-واضح محمد الصمد-ديوان أبي الشمقمق ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان-ط1-1995-ص7
37-الديوان ص50
38-المرجع نفسه ص53
39ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبدالرحمن الأموي، ولدت في قرطبة عام 994م وهي إحدى شاعرات الأندلس، توفيت عام 1091-أنظر-الأعلام-خير الدين بن محمود الزركلي-دار الملايين-ج8-ط15-2002-ص118
40-الديوان ص55
41-المرجع نفسه ص57
42- لسان الدين بن الخطيب-هو لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الغرناطي ولد في القرن الرابع عشر سنة 713هـ 1313م وكان أبوه كاتبًا في الديوان السلطاني فنشأ في رعاية والده وتلقى علومه على عدد من شيوخ العصر و وأكابر العلماء- أنظر محمد رضوان الراية-في الأدب الأندلسي-مطبعة دار الفكر المعاصر –بيروت لبنان-2000-ص367
43-الديوان ص30